مسرحيات شوقى
وهل هى لشوقى؟؟

هل مسرحيات شاعرنا الخالد أحمد شوقى من صنعه وحده؟

إن شعر المسرحيات من نظم شوقى.. فلا أحد سواه يستطيع أن يصل إلى هذه القمة العالية فى جزالة الأسلوب، ووضوح المعنى، وفخامة الكلمة، وموسيقية التعبير.

ولكن البناء المسرحى لهذا الشعر من الذى أقامه؟.. هل أقامه شوقى وحده، أو أنه استعان بمهندس؟

لقد استعان شوقى فعلا فى بناء مسرحياته بمهندس فنى!

وهذا المهندس ليس شاعرًا، ولا ممثلا، ولا مخرجًا مسرحيًا.. ولكنه طبيب.. هوايته الشعر والمسرح.. وقبل أن أذيع اسم المهندس الفنى لمسرحيات شوقى، أبادر وأذكر أن تصميم المسرحيات وأساسها وفكرتها، ومادتها الشعرية.. قام بها شوقى..

وكل ما صنعه المهندس هو أنه أعاد النظر فى الحوار، وفى ترتيب الفصول، وتولى تنسيق الإطار الفنى الذى ظهرت فيه المسرحيات..

وقد نجحت المسرحيات بقوة الشعر.. وقدرة الممثلين على الأداء، ولكنها لم تنجح فنيًا، ولقد أجمع النقاد على أن شعر شوقى فى القمة، وأن البناء المسرحى يحتاج إلى تعديل قد يتطلب التصرف فى هذا الشعر البديع.. فأين الشاعر الذى يستطيع أن يصل إلى قمة شوقى؟

وإذا وجدنا ذلك الشاعر، فكيف يمكن أن نتصرف فى شعر شوقى بالحذف أو الإضافة، دون أن نرتكب جريمة فى حق التاريخ؟

لست من هذا الرأى، ولكننى غير بعيد عنه. فأنا أرى أن تعديل مسرحيات شوقى لا يتنافى مع الأمانة التاريخية، إذا اقتصر التعديل على الحذف، ولم يتناول إضافة شعر آخر إلى شعر شوقى. ربما قيل إن التعديل الفنى قد يحتم وضع شعر جديد يقتضيه الجو والملاءمة والسياق.. فماذا نصنع..؟.

إذا اصطدمنا بهذه العقبة، فمن الممكن تذليلها، بوضع

كلمات غير منظومة، وبذلك تكون الكلمات حركة إخراجية مكتوبة أشبه بحركات الإخراج على المسرح..

كان شوقى ينقد مسرحياته. ويعيد النظر فيها، وكلما شهد مسرحية أجرى عليها تعديلا. وقد عرفته فى أخريات حياته، وحضرت معه مسرحية (مصرع كليوباترا)، وكنت أحفظ أشعاره، وفى إحدى الجلسات أبديت له ملاحظة على الحوار الذى دار بين أنوبيس وكليوباترا.. جو الموقف يقتضى أن يهون أنوبيس من خطر الموت، حتى يغرى كليوباترا أن تنتحر دون أن تخاف.. كانت تسأله ماذا سيفعل الموت بها.. وما هو الموت؟

تقول له: وما الموت؟

أنوبيس: ماذا أقول!

كليوباترا ـ تمثله لى كأن قد حضر..

أنوبيس:

زعمت ابنتى الموت شخصًا يحس وعظمت من أمره ما صغر.

ويستطرد فيقول:

وما هو إلا انطفاء الحياة وعصف الردى بسراج العمر

وقلت لشوقى إن هذا ليس تهوينًا من شأن الموت، ولكنه تجسيم لرهبته..

فأطرق شوقى وقال: لو أبديت هذه الملاحظة قبل طبع المسرحية.. لحذفته منها.

وقلت له: عندى اقتراح.

فقال: ما هو؟

قلت: يبقى هذا البيت على لسان كليوباترا.. وبدلا من أن يكون البيت:

وما هو إلا انطفاء الحياة وعصف الردى بسراج العمر

يصبح البيت هكذا:

وهل هو إلا انطفاء الحياة وعصف الردى بسراج العمر

فقال شوقى: إن هذا يقتضى أن يجرى البيت التالى على لسان كليوباترا وليس على لسان أنوبيس، ويمكن تعديله على هذا النحو:

أليست له صورة فى العيون على قبح صورته فى الفكر

فيقول أنوبيس:

وليست له صور فى العيون على قبح صورته فى الفكر

إذا جاء كان بغيض الوجود وإن جيء كان حبيب الصور

وسجل شوقى هذه الملاحظة فى ورقة صغيرة، وقال إنه سينفذها فى الطبعة الجديدة لمصرع كليوباترا. ويظهر أن الورقة التى دون فيها شوقى ملاحظته ضاعت منه، فقد صدرت بعد وفاته عدة طبعات لمصرع كليوباترا، ولكنها خلت من التعديل الذى اقتنع به شوقى.

ضربت هذا المثل.. لأبين حرص شوقى على الكمال الفنى، فالفن انتقاء، وحذف، وإضافة.. والانتقاء، والحذف والإضافة، لا ينبغى أن يتولاها إلا الفنان نفسه.. ولكن إذا ذهب الفنان وكانت آثاره تحتاج إلى انتقاء، وحذف وإضافة، فهل تهمل هذه الآثار؟ هل نتركها تخفق؟ أو أن الفن يقتضينا إجراء تعديل لها؟

أعتقد أن هذا السؤال يحمل الجواب الصحيح، وهو ألا نتردد فى إجراء أى تعديل لا يمس جوهر العمل الفنى، وما أنادى به بالنسبة لمسرحيات شوقى.. حدث بالنسبة إلى مسرحيات شكسبير، وحدث بالنسبة إلى بعض ألحان سيد درويش.. فإن أغنية (زورونى كل سنة مرة) التى تغنيها فيروز

فى الإطار الذى رسمه لها أخوان رحبانى قد بلغت من النجاح الفنى ما لم تبلغه وهى فى إطارها الذى وضعه سيد درويش نفسه.

وهذا لا يغض من قدرة سيد درويش.. بل يرفع قدره، ويثبت أن المعدن الفنى الأصيل، إذا تشكل فى أى قالب لا يفقد قيمته ولكن يزداد جمالا.

بقى أن تعرفوا المهندس لمسرحيات شوقى.. إنه الدكتور سعيد عبده.. ويمكن أن نستعين به فى تعديل مسرحيات شوقى، إذا ما وجدنا بين المشتغلين بالمسرح من يجرؤ على وضع هذه المسرحيات فى إطار يجعل قيمتها الفنية تتلاءم مع قيمتها الشعرية.

وطنية شوقى

زارنى أحد خريجى كلية الآداب ودارت بيننا مناقشة حول وطنية شاعرنا الخالد أحمد شوقى.. وقال لى إنه يعد رسالة عن الشعراء الوطنيين فى الخمسين سنة الماضية، وإنه لم يجد

لشوقى قصيدة واحدة تدل على وطنيته، وتجاوبه مع مشاعر الشعب.

وقلت للزائر الأديب: هل درست شوقى دراسة تستطيع معها أن تحكم على وطنيته؟

فقال: لقد كان شوقى مخالفًا للحركة الوطنية التى تزعمها مصطفى كامل.. كان فى جانب.. والشعراء كلهم فى جانب!

ولم يسعنى إلا أن أقاطعه وأنبهه إلى عجزه عن فهم العصر الذى عاش فيه شوقى، وكيف أن شوقى على الرغم من انتمائه للقصر، كان ينفعل بمشاعر الشعب، ويعبر عن الاتجاه الوطنى فى كثير من المواقف.

وسألنى: أين قصيدة شوقى فى حادث دنشواى؟.. أين شوقى من حافظ؟

وقلت: إن حافظا هجا إبراهيم الهلباوى.. المدعى العام، ولم يهج القضاة المصريين الذين اشتركوا فى إصدار الحكم الجائر..

وقال: وهل هجا شوقى هؤلاء القضاة؟

وحكيت له القصة التاريخية المعروفة.. وهى أنه عقب

صدور الحكم فى مأساة دنشواى عام ١٩٠٦ صدر أمر بترقية أحمد فتحى زغلول.. إلى منصب وكيل وزارة العدل.. وكان أحد قضاة المحكمة الظالمة، وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق شبرد، ودعى شوقى إلى الحفلة.. فأرسل إلى المشرفين عليها هذه الأبيات :

إذا ما جمعتم أمركم وهممتمو ... بتقديم شىء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة ... وسروال مجلود.. وقيد سجين
ولاتعرضوا شعرى عليه فحسبه ... من الشعر.. حكم خطه بيمين
ولاتقرءوه فى «شبرد» بل اقرءوا ... على ملأ فى دنشواى حزين!

شوقى وحافظ

أعتقد أنى كنت واضحًا.. عندما تكلمت عن موقف شوقى وحافظ من حادث دنشواى، فقد سجلت أن حافظًا لم يتعرض فى قصيدته للقضاة المصريين، وصب لعناته على إبراهيم الهلباوى المدعى العام، وأن شوقيًا هاجم القاضى المصرى أحمد فتحى زغلول وقال فيه أبياتًا تنبض بالازدراء والمرارة..

ولم أقصد بذلك.. إلا أن أصحح ما رسب فى الأذهان عن وطنية شوقى، فقد كان برغم وضعه من القصر، يعبر عن آمال الشعب وآلامه، وكانت ظروف وظيفته تقتضيه أن يستعمل الدبلوماسية والكياسة حتى لايحرج نفسه مع القصر، ولا يحرج القصر معه، وكان معروفًا عنه أنه يكره الإنجليز والاحتلال، ويشايع الحزب الوطنى.

وكان للوطنية فى تلك الأيام أكثر من مفهوم.. هناك من جاهر بمقاومة الاحتلال والتمسك بالولاء لآل عثمان، وهناك من دعا إلى التخلص من سيطرة آل عثمان والتفاهم مع الإنجليز على الجلاء.. وهناك من تمرد على الاحتلال والقصر معًا.. ونادى بالاستقلال التام.

وكان شوقى يكفر بالاحتلال، ويؤمن بالخلافة، وكذلك كان الحزب الوطنى يومًا ما..

وبعدما عاد شوقى من المنفى، ناصر الحركة الوطنية الشعبية التى انبعثت من انتفاضة ١٩١٩ برياسة سعد زغلول، ولكنه كان غير متحزب فى مناصرته للحركة، وكان يبث آراءه ونصائحه بدبلوماسية وكياسة.. كان ضد طغيان الأقلية، وضد

طغيان الأكثرية.. ولم يقع حادث فى بلادنا، أو خارج بلادنا، دون أن يسجله..

وقد تلقيت من الأستاذ محمد الغزالى حرب كلمة أشار فيها إلى وطنية شوقى، وأنكر الأبيات التى أوردتها فى يومياتى، وقلت إن شوقيا قالها بمناسبة حفل تكريم فتحى زغلول..

وقال إنه يحفظ هذه الأبيات ولا يعرف أنها لشوقى، وإنه بحث عنها فى الشوقيات فلم يجدها.. وخشى على ذاكرتى أن تكون قد خانتنى..

وأبادر فأذكر.. أن الأبيات الأربعة، تسابقت الصحف الوطنية فى نشرها، ونسبتها إلى شوقى عام ١٩٠٦، وقد نقلها المؤرخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الرافعى من الصحف وسجلها فى كتابه «شعراء الوطنية» صفحة ٧٩.

ويستطرد الأستاذ الغزالى فيسجل على شوقى أنه قال قصيدته فى دنشواى بعد وقوع الحادث بعام.. ثم يسجل لشوقى أنه ليس أقل وطنية من حافظ وأن ما يؤخذ على حافظ أفدح بكثير مما يؤخذ على شوقى، ويعزز رأيه بأبيات كثيرة للشاعرين.

وقد نقل من شعر حافظ بعض ما نظمه فى الإشادة بعدل بريطانيا، وكيف كان حافظ يودع المندوب السامى القديم.. ويستقبل المندوب السامى الجديد.. ويمجد العرش البريطانى ويقول مخاطبًا الإنجليز:

أنتم أطباء الشعوب وأنبل الأقوام غاية
أنى حللتم فى البلاد لكم من الإصلاح غاية

ثم قارن بين قصيدة حافظ فى وداع كرومر، وقصيدة شوقى فى دنشواى بعد سفر كرومر.. وذكر أن حافظًا قال لكرومر:

سنطرى أياديك التى قد أفضتها علينا، فلسنا أمة تجحد اليدا
وكنت رحيم القلب تحمى ضعيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

فى حين يقول شوقى:

نيرون لو أدركت عهد كرومر لعرفت كيف تنفذ الأحكام

ولشوقى قصيدة مشهورة فى وداع كرومر.. وفيها يقول:

لما رحلت من البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء وبيلا

وأذكر هنا للتاريخ أن شوقيا نشر هذه القصيدة فى الصحف بدون توقيع، وبعد ذلك سجلها فى الشوقيات.

وأعود للأستاذ الغزالى، لأقتبس من مقاله هذه الفقرة:

« لاينبغى لأحد أن يسأل فى مجال الوطنية : أين شوقى من حافظ بل يجب أن يكون السؤال هو : أين حافظ من شوقى ؟! »

ولاشك أن فيما قاله الأستاذ الغزالى مغالاة.. فكلا الشاعرين شوقى وحافظ له كثير نحسبه له، وكثير نحسبه عليه.

ذكريات عن الشاعر الخالد
فى يوم ذكراه

مرت ذكرى شوقى هذا العام فى هدوء، فلم تحتفل بذكراه هيئة أدبية فنية، ولم تظهر عنه دراسة جديدة.

كل ما حدث أن التليفزيون أذاع برنامجا عن شوقى، أعده الأستاذ محمد على حماد.. واشترك فيه ابن شوقى الأستاذ حسين شوقى والدكتور سعيد عبده وأم كلثوم وعبد الوهاب، وهو برنامج يتسم بالوفاء أكثر من أى شىء آخر.

ولكن هل معنى ذلك أن يد النسيان بدأت تمتد إلى اسم الشاعر الخالد، لتمحو منه بعض النقط، أو بعض الحروف ؟

كلا.. فقد ظللنا عدة أعوام لا نحتفل بذكرى شوقى على المستوى الذى يليق به.. ثم احتفلنا - شعبًا ودولة - بهذه الذكرى فى مؤتمر استمر أيامًا، وساهم فى المؤتمر ممثلو البلاد العربية، وكتب النقاد والمختصون دراسات جادة عن الشاعر الذى تفجرت موهبته منذ سبعين عامًا.. بشعر اختلف النقاد على شكله، ولكنهم أجمعوا على أصالة جوهره..

وجاء الزمن، فأثبت أن الشعر الصحيح لا يموت.. أيًا كان إطاره وقالبه.

وقد لاقى شوقى فى حياته هجومًا عنيفًا من خصومه. بعض هؤلاء الخصوم يحملون على شخصه، ولم يكن يحفل بهم. وبعضهم الآخر كان يحمل على طريقته وأسلوبه، وقد اهتم بهم، ولكنه لم يتول الرد عليهم، كان يرى أن الشاعر هو الشعر. فهل يستطيع أن يفسر نفسه بنفسه؟ هل يستطيع إذا سئل ما هو؟.. أن يجيب ماهو؟

إن الشعر، والموسيقى، والنحت، والرسم، وكل الآثار الفنية مثل مفاتن الطبيعة.. لا ينبغى أن نسألها عن سر فتنتها.. فالجواب ليس عندها، ولكن عندنا نحن الذين أخذتنا

فتنتها وعبرنا عنها، بقصيدة أو لحن، أو تمثال، أو لوحة..

وفى المهرجان الذى بايعه فيه شعراء العرب بإمارة الشعر، قال شوقى يحيى من بايعوه:

إنما أظهروا يد الله عندى ... وأذاعوا الجميل من إحسانه
ماالرحيق الذى يذوقون من كرمى ... .. وإن عشت طائفًا بدنانه
وهبونى الحمام.. لذة سجع ... أين فضل الحمام فى تحنانه؟
وتر فى اللهاة ما للمغنى ... من يد فى صفائه وليانه؟

إن شوقيا فى هذه الأبيات يرى أن الفن موهبة، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال.

هل تستطيع الموهبة وحدها أن تخلق عملا فنيًّا كاملا؟

فى رأيى أن الموهبة التى لا يصقلها العلم، والثقافة والدراسة.. قد تنطلق منها شرارة تلفت النظر. ولكن لا تندلع منها نار تثير الفكر. وقد كان شوقى موهبة صقلتها ثقافات متعددة، شملت السياسة والتاريخ، والقانون، والآداب العالمية، والفنون، والأديان، وأصول اللغة..

وإذا شبهنا الموهبة ببئر البترول، فإن الثقافة هى معامل تكرير البترول، وبغير هذا التكرير لا يمكن أن نستغل البترول

فى تسيير الطيارات، والسيارات.

وقد حلقت طائرة شوقى بموهبته التى صقلها بالثقافة.. سارت ببتروله الذى كرره بالعلم والمعرفة..

وكان شوقى يؤمن كما قلنا بأن الشعر هو الشاعر، والشعر لا يستطيع طبعًا أن يرد على ناقديه، وكذلك الشاعر لا ينبغى أن يفسر أعماله، أو يدافع عنها.. فهذه مهمة الناقد..

ولكن شوقى على الرغم من إيمانه بذلك.. كان يضيق بهجوم النقاد، وكان يعبر عن ضيقه بأبيات يبثها بين قصائد لا تمت إلى النقد بأية صلة..

كان الأستاذان الكبيران عباس العقاد وإبراهيم المازنى قد أصدرا أول جزء من كتابهما الديوان، وفى هذا الجزء تناول العقاد قيمة شوقى.. وهل هو شاعر خالق، أو أنه شاعر ينسج على منوال غيره من الشعراء القدامى، فهو يستخدم النماذج السابقة، والقوالب القديمة، وما يتجلى فى شعره من بريق، ليس مبعثه شاعرية أصيلة، وإنما مبعثه ممارسة النظم فترة طويلة من الزمن..

وثار شوقى، وثار له كثيرون من الكتاب وردوا على

العقاد، ولكن ردودهم لم تتضمن أكثر من كيل السباب للعقاد والمدرسة الحديثة، وإحراق البخور حول شوقى.. كانوا يشيدون بشوقى ويسبون العقاد، وكان العقاد يدافع عن الشعر الحديث ويسب شوقى عن علم، وعن تعصب أيضًا..

وفى هذه الأثناء نظم شوقى قصيدة استقبل بها أم الخديو عباس، وكانت ممنوعة من دخول مصر، وأذن لها الملك فؤاد بالدخول لدفن حفيدها، ومنعت الحكومة الناس من استقبالها، ومنعتهم من تشييع الجنازة.

وتحمس شوقى لاستقبال أم الخديو، وهاجم الذين منعوا الجمهور من استقبالها وقال:

برئ الرفق من السيف الذى ... منع الأم ملاقاة البنين
أقبلى كالشمس لم تجعل لها ... موكبًا.. أو تتخذ من حاشرين
أقبلى فى بحرك الطامى إذا ... عبث السيف بموج المحتفين

ثم قال يخاطب أم الخديو:

لا ترومى غير شعرى موكبًا ... إن شعرى درجات الخالدين
آب من قيمتك الدهر كما ... رجع النقد من الشعر الرصين!

وهو فى هذين البيتين إنما أراد أن يرد على من هاجموه..

وفى ذكرى الصحفى الوطنى الكبير أمين الرافعى، أعد شوقى قصيدة.

وكان أستاذنا الدكتور محمد حسين هيكل رئيسًا للجنة الاحتفال، وهو صديق لشوقى، وقد كتب مقدمة ديوانه، وأشاد بشاعريته. ثم حدثت بينهما جفوة شديدة، وليس هنا مجال الكشف عن أسبابها..

ورأى الدكتور هيكل أن يحتجز القصيدة إلى نهاية الحفلة حتى يربط الجمهور. وكانت الحفلة فى دار الأوبرا، وقد تحددت لنهايتها الساعة الثامنة مساء، وقبل هذا الموعد، نهض الدكتور هيكل وأعلن أن الوقت لا يتسع لإلقاء قصيدة الشاعر أحمد شوقى بك.. وأن اللجنة رأت أن تكتفى بنشرها فى الصحف.

وعرف شوقى النبأ، وكان معتكفًا فى داره.. واعتقد أن الدكتور هيكل أساء النية لسببين: هما أنه أرجأ إلقاء القصيدة إلى آخر البرنامج، أما السبب الأخر فهو أنه لم يطلق عليه لقب أمير الشعراء واكتفى بأن خلع عليه وصف الشاعر فقط..

وغادر شوقى داره، وطاف بالصحف التى أعدت القصيدة للنشر، وأضاف إلى قصيدته هذين البيتين :

إن يفت أمس منبر القول شعرى إن لى المنبر الذى لن يزولا
جل عن منشد سوى الدهر يلقيه على الغابرين جيلا فجيلا

لاأريد بهذه الكلمات أن أحيى شوقيا ولكن أريد فقط أن أضع على قبره زهرة صغيرة فى يوم ذكراه.

شاعرنا الخالد..
فى حديقة الخالدين

ما أكثر الذين خطر لهم أن شاعرنا الخالد، لم يكن يتصور، أنه بمرور أكثر من ثلاثين عامًا على وفاته، سيتحدث الناس عنه، كما لو كان حيًا، فيناقشون آراءه، وأسلوبه الفنى، وسلوكه الاجتماعى.. هل كان شجاعًا؟ هل كان جبانًا؟ هل كان مع الشعب؟ هل كان مع الملوك الذين ولدته أمه وهى وصيفة فى قصورهم؟ هل كان يتملق الطغاة؟ ما قيمته كشاعر؟ هل له شخصية منفردة؟ أهو فنان خالق، أم أنه صانع يتقن صناعة الشعر؟؟

وقد أجاب المؤمنون بالشاعر عن هذه الأسئلة، وأصروا على أنه قمة. ولكن الإيمان، مثل الحب، يتدخل فى الآراء.. فيضفى عليها ما يثير الظنون!

أما الزمن، فهو وحده، القاضى الذى يفرض حكمه على القيم، ولا حيلة لأحد فى أن ينقض هذا الحكم أو يلغيه!

ولقد حكم الزمن لشاعرنا العظيم أحمد شوقى، وفرض عبقريته وخلوده، وجعله حتى يومنا هذا، إنسانًا حيًّا يتحرك، ويتلفت ويتكلم، وينبرى له النقاد، ويناقشون حركاته، والتفاتاته، وكلماته، كما لو كان يعيش معهم، ويعيشون معه!

وبالأمس القريب تجدد الحديث عن شوقى، وتناثرت أسئلة أخرى حوله: هل كان شوقى يظن أنه سيأتى اليوم الذى يقام له فيه تمثال خارج بلاده؟ وأين؟ فى روما!! فى حديقة الخالدين!!

والذين عرفوا شوقى، ولو من خلال أشعاره، يستطيعون أن يقولوا، دون أن يتجاوزوا الحقيقة إن شوقى كان يحس فى أعماقه، أن التقدير الكبير الذى لقيه وهو حىّ، سوف يتضاعف بعدما ينتقل إلى العالم المجهول.. ربما لم يدر فى

خياله، أن روما ستسبق مصر إلى إقامة تمثال له. ولكن الشيء الذى كان على يقين منه.. هو أن وطنه سيقيم له التماثيل فى الحدائق والميادين، بعدما يتحرر من جسده، ولا يبقى منه إلا الروح والشعر والفن!

ولكن الذى حدث أن إيطاليا سبقتنا إلى تكريم العبقرية العربية، فقررت أن تضع تمثال شوقى فى حديقة الخالدين بروما، إلى جانب تماثيل عباقرة العالم. وأقامت لهذه المناسبة احتفالا رسميًا، حضره وزير الثقافة الإيطالى، وعمدة روما، والفنانون، والعلماء، والشعراء ورجال سفارتنا، وعشرات من مختلف البلاد العربية، بينهم الفنان المصرى العربى جمال السجينى صانع التمثال، وتولى الوزير المصرى العربى ثروت عكاشة إزاحة الستار عن تمثال العبقرية المصرية العربية.. أمير شعراء العرب.. وشاعر الإنسانية.. الذى انفعل بحضارتها ومفاتنها ومآسيها. وكان شعره صدى للأحداث التى شهدها بنفسه أو عاشها فى التاريخ.

ولقد كرمت مصر شاعرها الأكبر بأساليب مختلفة، فأطلقت اسمه على الشوارع، ووضعت جوائز تشجيعية باسم

أمير الشعراء، واحتفلت بذكراه، وأصدرت عدة دراسات عنه، وقررت إقامة أربعة تماثيل له.. أحدها فى الجيزة، والثانى فى الإسكندرية، والثالث فى مبنى مجلس الفنون الأعلى، والرابع فى مدخل دار الأوبرا الجديدة، التى سيتم بناؤها فى الحديقة المقابلة لحديقة الأندلس بجوار قصر النيل[1].

وشوقى لم يستمد مكانته الخالدة من أنه كان شاعر الأمراء، أو أمير الشعراء.. وإنما استمد هذه المكانة لأنه كان شاعرًا حقًّا، امتاز بموهبة صقلتها ثقافة متعددة الجوانب، وعقلية متفتحة، واعية، وفن أصيل ينبض بالحياة.. والإنسانية، وتنبض فيه الحياة.. والإنسانية.

والأشكال ما هى إلا زخارف وألوان، وإنما الشاعر.. هو من تحس أنه خلق جوهرًا، أو حقيقة، أو جوًّا، فإذا ارتبط هذا الخلق، بالشكل الذى يلائمه ارتباطًا موسيقيًّا، فى عمل واحد متكامل أو محاولة جديدة لم تتم.. كان الشاعر جديرًا بالبقاء.

وشوقى، مثل أى فنان، بدأ بمحاكاة غيره، وعاش فترة

---

(١) كان هذا قبل حريق دار الأوبرا القديمة وتعزيز بناء الدار الجديدة مكانها.

طويلة يستعمل الديباجة التى استعملها من سبقوه من الشعراء، وكان يجاريهم، فيلحق بهم، ويسبقهم، ويتخلف عنهم، ثم عثر على نفسه، فصار حرًّا له شخصية فنية فذة، خلقت فى الشعر العربى، جوهرًا، وحقيقة، وجوًّا. فشوقى عالج أحداث التاريخ بأسلوب جديد ساحر، وصنع لوحات وتماثيل رائعة لآثار قدماء المصريين، ووضع أول محاولة جادة للمسرحية الشعرية فى الأدب العربى.

ولم يكن مجرد شاعر، ينسق الجملة تنسيقًا موسيقيًّا. ولكن كان له إلهام، وهذا هو الفرق بين الشعر الصحيح، والشعر الزائف، فالشاعر الملهم يعتقد أن انفعالاته الذهنية والنفسية إنما هى وحى من قوة ذات قداسة، وليس من حقه أن يتصرف فى التعبير عن هذا الوحى، فيضع كلمة غير الكلمة التى يجب أن يعبر بها عن الوحى، ولو كانت الكلمتان متشابهتين، بل يجب عليه أن يقول الكلمة ولو كلفه ذلك أن يعانى من الألم، والإرهاق، والعذاب، ما يفوق طاقته. وقد رأيت شوقيا وهو يسجل خواطره .. كان يخيل إلىّ أنه مجنون، أصيب بغتة بنوبة صرع.. كان يجلس بيننا، ثم يقفز من مكانه إلى مكان آخر، ويخرج من جيب سترته علبة السجائر

ويكتب فيها كلمات. ويعود إلينا أو نلحق به، والعرق يتصبب من جبهته.. وعيناه مغرورقتان فى لمعان أشبه بالدموع، وأنفاسه لاهثة!

وكانت هذه الحالة تنتابه طيلة معاناته نظم إحدى قصائده. فإذا فرغ من تسجيل خواطره ساعة بساعة، ويومًا بعد يوم، وضع رأسه بين كفيه وأملى القصيدة كاملة على أحد المقربين إليه. ثم عاد إلى مراجعة الأوراق والقصاصات التى سبق أن سجل فيها خواطر القصيدة.. فإذا ما أملاه عن ذاكرته لا يكاد يختلف عما سجله فى بضعة أيام متفرقة، إلا فى كلمة، أو كلمتين! وقد كان شوقى مؤمنًا بأنه شاعر أعماق وجذور، وكان مع ذلك يفزع من مهاجمة النقاد له. وكثيرًا ما سئل: لماذا تخاف حملات النقد.. فكان يقول: إنه فنان، والفنان يسعده أن يقتنع جيله بعمله.. فإذا ما استمرت حملات النقد، فقد يتأثر بها أبناء الجيل، وينصرفون عن الفنان وهو حىّ، ولا يقبلون عليه إلا بعد ما يموت!

كان يؤمن بأنه سيعيش بشعره.. سيعيش آلاف السنين، ولم يكن يخفى هذا الإيمان، بل لعله عبر عنه عشرات المرات فى عدة قصائد:

فعندما رثى الزعيم الوطنى مصطفى كامل قال :

وأنا الذى أرثى الشموس إذا هـوت فتعود سيرتها إلى الدوران ! !

ولما منعت السلطات استقبال أم الخديو عباس بعد خلعه عن العرش قال يخاطبها :

لا ترومى غير شعرى مـوكبًا إن شعرى درجات الخالدين

كل حمـد لم أصـغه زائـــل خالد الحمد بما صـغت رهـين

هذه خواطر عن شوقى.. الذى احتفلت إيطاليا بإزاحة الستار عن تمثاله فى حديقة الخالدين. وأنا بهذه الكلمة أحاول أن ألقى بعض الضوء عليه، ولكنى أحاول من خلال خواطرى أن أرى تمثاله القائم هناك فى روما.. تحف به تماثيل زملائه من عباقرة الفكر، والفن.

مؤلفات شوقى

تلقيت من الأستاذ الدكتور محمد صبرى كلمة عن مؤلفات الشاعر الخالد أحمد شوقى، وكان أحد القراء قد سألنى عن آثار شوقى، فأحلته على الدكتور صبرى، وهذه هى الكلمة :

الشوقيات : صدر الجزء الأول طبعة قديمة سنة ١٨٩٨. ويشتمل على مقدمة لشوقى وقصائد من ١٨٨٨ إلى ١٨٩٨.

والواقع أنه يضم قصائد من ٨٨ إلى ٨٩ كما أن تاريخ صدوره الحقيقى فى مارس ١٩٠٠. وقد أعيد طبع هذا الجزء بنصه دون أى تعديل أو إضافة سنة ١٩٣٠ وفى أكتوبر سنة ١٩٣٢ مات شوقى.

وفى سنة ١٩٣٦ صدر الجزء الثالث (المراثى). وفى سنة ١٩٤٣ صدر الجزء الرابع على غير نمط الأجزاء السابقة التى أشرف شوقى قبل موته على إصدارها أو إعدادها.

وفى سنة ١٩٣٣ صدرت فى كتاب ملحمة شعرية تاريخية (دول العرب وعظماء الإسلام) كان نظمها فى منفاه بالأندلس.

الروايات : رواية (على بك أو ما هى دولة المماليك). ألفها وهو نزيل باريس فى أكتوبر سنة ١٨٩٣.

وفى مارس سنة ١٩٣٢ أعاد بناءها وأصدرها من جديد، فأصبحت رواية أخرى محت الأولى. فلم يعد طبعها. وفى سنة ١٨٩٧ نشر رواية (عذراء الهند) ـ وهى رواية نثرية ـ فى (الأهرام) من ٢٠ يوليو إلى ١٦ أكتوبر تحت عنوان (عذراء

الهند أو تمدن الفراعنة). وظهرت فى كتاب فى نوفمبر من السنة نفسها، كانت توجد منه نسخة فى مكتبة طلعت بالقلعة، ولكنها أصبحت فى حكم المفقودة. وفى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ صدر العدد الأول من مجلة (الموسوعات) لصاحبها حافظ عوض.

وقد ألحقت بهذا العدد الملزمة الأولى من رواية (لادياس). وقد تمت وطبعت على حدة سنة ١٨٩٩. وهى رواية نثرية. وفى العدد ١٣ من السنة الأولى (إبريل ٩٩) ظهرت الملزمة الأولى من رواية (دل ويتمان أو آخر الفراعنة).. وقدمت الرواية وطبعت على حدة فى سنة ٩٩ أيضًا. وهذه الرواية لم يعد طبعها، وكان مصيرها مصير رواية على بك القديمة، لأن شوقيا أعاد بناءها من جديد شعرًا.. لا نثرًا هذه المرة، وعالج نفس الموضوع بعنوان (قمبيز) سنة ١٩٣١.

وفى سنة ١٩٠١ ـ ١٩٠٢ نشرت (المجلة المصرية) لصاحبها خليل مطران رواية نثرية (شيطان بنتاؤور) ولكنها لم تطبع على حدة وتجمع فى كتاب إلا فى سنة ١٩٥٣. وفى سنة ١٩٠٤

ظهرت رواية (ورقة الآس) ـ وهى رواية نثرية ـ ضمن روايات مسامرات الشعب وقد أعيد طبعها بعد موت شوقى.

وفى سنة ١٩٢٩ ظهرت رواية (مصرع كليوباترا) فكانت لها ضجة فى عالم الأدب والتمثيل. وتبعتها قبيز كما قلنا (١٩٣١) و (مجنون ليلى) ـ ١٩٣١. وعلى بك الكبير كما قلنا (مارس ١٩٣٢) و (عنترة) ـ ١٩٣٢ (بعد موت شوقى بأشهر)، وأميرة الأندلس (١٩٣٢) وهى رواية نثرية. روى لى الدكتور سعيد عبده أن شوقيا أتى بهذه الرواية من الأندلس فى مجلدات وكانت مفككة. وأنه بعد نجاح (مجنون ليلى) و (كليوباترا) أخذ يعيد النظر فى أميرة الأندلس ولكنها أخفقت بعد تمثيلها نصف ليلة.. وهى رواية ضعيفة كجميع رواياته النثرية القديمة. وقد طبعت (الست هدى) طبعة هزيلة، وهى رواية قديمة يرجع تأليفها إلى ما قبل سنة ١٩٢٢. وقد نشرت (الرسالة) فى سنة ١٩٣٣ منظرًا منها أعدنا نشره. وله أيضًا رواية (البخيلة). وهذه الرواية لم تتم ولم تطبع. وقد أعارنا الدكتور الأديب سعيد عبده (مخطوطة) الرواية فنشرنا زبدتها (فصلا كاملا وقطعتين) فى (الشوقيات المجهولة).

النثر: ظهرت (أسواق الذهب) طبعة الهلال سنة ١٩٣٢

- قبل موت شوقى فيما أعتقد - وأعيد طبعها سنة ١٩٥١. وأكثرها على أسلوب المقامات بعضها قديم يرجع إلى أوائل هذا القرن وبعضها جديد كتبه شوقى فى المنفى.

وللأستاذ كامل الشناوى الحق أن يسأم أسلوب المقامات، ولكن وسط هذا الحصى المتراكم والصدف المبعثر.. نجد الدر اليتيم الذى يتألق بعبقرية أحمد شوقى!

الفنان الذى قال كلمته .. ولم يمش

كان المفكر الألمانى نيتشه، يصرخ فى الناس أن يقولوا كلمتهم ويتمزقوا دونها... وهناك مفكر عربى - لعله أمين الريحانى - همس فى كل أذن بهذه النصيحة السوديعة: قل كلمتك وامش!

والفنان الصادق، هو الذى يستطيع أن يقول كلمته، ثم يتمزق.. أو يقولها ويمشى فى سلام!

وشوقى شاعر فنان، شق طريقه إلى الخلود، لأنه عرف

كيف يقول كلمته.. وهو لم يقلها ثم تمزق ولم يقلها ومشى، ولكن قالها وظل صامدًا لها!

إن الظروف التي أحاطت بشوقي منذ فجر حياته كانت كفيلة أن تطبق شفتيه في بعض المناسبات، وبرغم ذلك، تحدى ظروفه وعبر عن خواطره وانفعالاته، بقوة وطلاقة. لقد ربط مصيره بمصر، وطنه الذي ولد فيه، وآمن بمصر العربية، ومصر الإسلامية، ومصر القوية الفرعونية ذات الحضارة التي تتحدى الزمن، وتنحني لها هامة التاريخ.

ومصر التي عرفها، كانت تتنازعها سلطتان، إحداهما سلطة الاحتلال البريطاني.. والأخرى سلطة الخديو، وكان يعادي المحتلين لأنهم يمثلون الغدر والعدوان، ويقف إلى جانب الخديو، بوصفه الممثل الشرعي لخليفة آل عثمان، وكان شوقي يؤمن بالخلافة، ويراها رمزًا للوحدة الإسلامية، واندفع في تأييدها برغم ما ارتكبه من خطايا في حق مصر، والعرب، والإسلام.. وكان اتجاه شوقي متمشيًا مع اتجاه الحزب الوطني وزعيمه مصطفى كامل. وتطورت نظرة الشعب المصري إلى التبعية العثمانية، والاحتلال البريطاني. واختلف رجال الحزب

الوطنى مع الخديو عباس الثانى، بعدما تبينوا أنه لا يؤمن بالمبادئ الوطنية، ولكن يلعب بها، ليستأثر باستغلال ثروات البلاد، ويستنزف دماء الفلاحين والكادحين، وقامت ثورة ١٩١٩، وتغير لقب الخديو. فصار سلطانًا، ثم ملكًا، وطالب الشعب بجلاء القوات البريطانية وكانت القوة الشعبية بطبيعتها تنفر من العرش، وكان العرش يفزع منها ويخشاها..

لم يعش شوقى فترة الثورة فى مصر، فبعدما تم خلع الخديو عباس من منصبه، نظم شوقى قصيدة استقبل بها السلطان حسين. ورأت السلطات البريطانية فى هذه القصيدة حضًا على كراهيتها، وتمجيدًا للخديو المخلوع.. فقررت الحكومة البريطانية أن تنفى شوقى خارج البلاد، وظل بضع سنوات فى إسبانيا، وفى أواخر عام ١٩٢٠ عاد إلى مصر، فمجد الثورة وانفعل بها، وكان يتعقب الإنجليز فى كل مناسبة بتجريحهم، وتأليب الرأى العام عليهم، وحرص على ألا يتوجه بقصائده إلى الملك فؤاد، الذى حل مكان السلطان حسين كامل، ولكنه لم يلبث أن أشاد به فى بعض القصائد العامة. مثل قصيدة توت عنخ آمون.. التى يشير فيها إلى سرقة جثة

الملك الفرعون، ويتهم الإنجليز بأنهم هم الذين سرقوا الجثة، ولا ينسى أن يبكى على الخليفة الذى خلعته بريطانيا من تركيا فيقول :

أمن سرق الخليفة وهو حى يعف عن الملوك مكفنينا؟!

وعندما كان شوقى شاعر الأمير، وكان يشغل منصبًا هاما فى القصر، وقعت أحداث اهتز لها ضمير الشعب، مثل حادث دنشواى، وعزل كرومر، ووفاة مصطفى كامل، وجاءت وفاته عقب خصومته للخديو، ولقد قال شوقى كلمته فى مأساة دنشواى وفى كرومر، ولكنه لم يستطع أن ينشر ما قاله بتوقيعه الصريح.. ورثى مصطفى كامل بقصيدة عبر بها عن حزنه وحبه للزعيم الوطنى، بصدق وانفعال.

وقد نال شوقى فى حياته شهرة ومجدًا.. وفى رأيى أنه ظفر بالشهرة قبل نفيه إلى أسبانيا، فقد كان شعره برغم جزالته وما يتميز به من إشراق فى الديباجة، ونبض موسيقى.. لا يعلو على شعر غيره من كبار الشعراء المعاصرين، أمثال محمود سامى البارودى، وإسماعيل صبرى، وأحمد محرم، وحافظ إبراهيم، فلما عاد من المنفى، ظفر إلى

جانب الشهرة بالمجد، فقصائده التى نظمها خلال الفترة من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٢، تعد أضخم آثار شوقى وأكثرها أصالة، وتألقًا. وفى هذه الفترة بالذات، كان شوقى يعبر عن آرائه فى الأحداث بشعر اتخذ طابع الدبلوماسية دون أن يضطر إلى التخلى عن أسلوبه الفنى الرفيع.

فهو يتعرض لتصريح ٢٨ فبراير وما ترتب عليه من وضع دستور ١٩٢٣، وإقامة حياة نيابية بشكل ما، فلا يرى أن فى ذلك خلاصًا من القيد ويقول:

إلام الخلف بينكمو إلامـا ... وهذى الضجة الكبرى علاما؟
وأين ذهبتمو بالحق لما ... ركبتم فى قضيته الظلاما؟

ثم يخاطب مصطفى كامل قائلا:

شهيد الحق: قم تره يتيمًا ... بأرض ضيعت فيها اليتامى

ويرثى سعيد زغلول القاضى وهو أحد أقارب الزعيم سعد زغلول، فيلمح إلى الزعماء المختلفين جميعًا، ويقول:

أيهم من أتى برأس كليب ... أو شفى القطر من عياء احتلاله

وهو يرى أن كل فرحة زائفة ما لم يتحقق جلاء الإنجليز. ويقول:

والله مادون الجلاء ويومه يوم تسميه الكنانة عيدا

وكانت آراء شوقى فى الأحداث الكبيرة تتسم بالعمق، والوطنية، والنفاذ إلى كشف الحقيقة ما عدا حادثًا واحدًا هو حادث الثورة العرابية، وقد هاجم عرابى، وكان مفهومًا أن هذا الهجوم بدافع علاقته بالخديو الذى أرادت الثورة العرابية المجيدة أن تقتلع جذره من العرش وتحرر المصريين من ربقة العبودية.

وفى هذه الفترة بالذات ـ من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٢١.. أخرج شوقى مسرحياته التى تعد أول محاولة فنية جديدة للشعر المسرحى فى اللغة العربية.. وهى مجنون ليلى، وكيلوباترا، وقمبيز، وعلى بك الكبير، والست هدى، والمعروف أن المسرحيتين الأخيرتين، كان شوقى قد نظمهما فى صباه، ثم أعاد فيهما النظر ونقلهما من الظل إلى الضوء، بعدما لقيت مسرحياته إعجابًا جارفًا.

* * *

لقد تعودنا فى كل عام أن نحتفل بذكرى شوقى، وكم صدرت عنه دراسات، وأقيمت حفلات وصنعت تماثيل.

وأعتقد أن شوقى ثروة مصرية عربية، يجب أن نحافظ عليها وننميها، بترجمة بعض آثاره إلى اللغات العالمية، وإنشاء كرسى خاص به فى كليات الآداب بجامعاتنا وإقامة تماثيل له فى عواصم المحافظات.

وما زلت أتمنى على أستاذنا الدكتور محمد صبرى صاحب الشوقيات المجهولة أن يتم عمله العظيم، بإعادة طبع دواوين شوقى، وشرح ما فيها من رموز لا يستطيع إدراكها إلا من عاشوا الأحداث التى عاشها شوقى..

وقد عاش الدكتور صبرى هذه الأحداث ورعاها، وسلام على شوقى الفنان الذى قال كلمته ولم يمش.. ولم يتمزق!